الوقت نفسه يلاحظ أن المزاج الموروث هو العبودية . والعبودية ألوان منها الحزن الذى لا آخر له ، ومنها الرقة والاستسلام الذى لا يعرف أثارة من غضب أو إيلام .

كان الشاعر فى رأى العقاد مسئولا عن تضليل القارىء العام ، وكان يعلم أن القارىء رجل متواضع لا يتاح له أن يعامل الزهر والبلابل والغدران والكواكب ، ولا يتاح له الثغور والعيون والقبلات والخدود والكئوس والأشواق . وقد يحسن الشاعر استخدام هذه الألفاظ فتبرق فى عين القارىء المحروم ، وسرعان ما يستحيل الشعر إلى جنة وهمية لا تنال إلا على صفحات القصص والدواوين . ولكن العقاد حريص على القارىء والفن جميعا . وهو يعلم أن حاجة القارىء أكثر من حاجة الخبير الناضج . ومن أجل ذلك دافع عن القراء المضَللين ، وسمى الشعر الذى يروج للإشباع الوهمى باسم الشعوذة .

القارىء العام قد عبث به التعليم الردىء . والعقاد كان يؤمن إيمانا راسخا بأن هذا التعليم منتشر غائر فى الأعماق . وقد توارث القراء والنقاد استعمالات خاصة لكلمة المعنى . وأصبح السؤال المتبادر عما يقصدونه بهذه الكلمة من أوجب الواجبات . ولكن لا أحد يحلل الاستجابات ، ولا أحد يهتم بتحليل الاستعمالات والقضايا الشائعة . ولم يخطر لأحد أننا مولعون بحكم الوراثة أن نترجم ما نقرؤه إلى نوع من الحكمة أو ضرب من الاعتبار . وفى بعض الأحيان يكون السؤال عن معنى نص أو بيت حنينا إلى هذا الضرب من التأملات .

القارىء محتاج إلى استبطان نفسه من ناحية ، محتاج الى معلم أمين من ناحية ثانية . القارىء ، يسلم ، لاعتبارات كثيرة ، أن الحكمة والاعتبار خلاصة كل تأمل . وبعبارة أخرى يبحث عن بعض الإطارات . القارىء تعود لأسباب لا داعى لذكرها أن ينقل كل شىء من معجم النفس المفردة إلى معجم الجماعة . وكأن النفس المفردة لا تستحق أن تعيش بمفردها بمعزل عن الحكمة والاعتبار والجماعة . القارىء منذ وقت بعيد نافر من الفردية الحميمة إلا أن تكون هذه من قبيل الملهاة أو ملاحة الطفولة التى تقبل وترفض فى آن .

نبه العقاد إلى أن لفظ المعنى لفظ سيىء من بعض النواحى لأنه مقرون بمطالب خارجية دخيلة ، وربما لا يكون هذا المعنى أكثر من حالة نفسية لا تترجم ولا تلخص